مجلة المرابط

العدد : ٢٠٦ الموافق في شوال ١٤١٩ هجري ٢ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : في البناء المعرفي الدعوي وانعكاساته التربوية	بقلم : أبو أحمد أمين

الحركة الاسلامية أو لنقل حركة الإسلام، هي حركة أفعال أو لنقل هي حركة مجموعة من الفاعلين ضمن عامة مفعول بهم؛ نقول مفعول بهم بناءاً على أن الفاعلين في الحقل الدنيوي كثيرون ومختلفون، والاسلإميون ليسوا وحدهم في مجال الدعوة بل { **لكل وجهة هو موليها** }[سورة البقرة :148]. إلا أن الفرق بين الداعية المسلم وغيره من الفاعلين في حقل الدعوة[1]، هو ان هذا الأخير يتحرى أن يكون فعله لا يناقض ثوابث الشرع وليست فيه مضرة ولا يلغي الاجتهاد ؛ بمعنى أن فعله ذا بعدين أساسيين : الأول ديني والثاني دنيوي[2]. أما الفاعلين الأخرين فإن لديهم مقاييس أخرى وأبعاد تختلف باختلاف الفكرة المدعو إليها.

لنرجع إلى الداعية المسلم الذي يهمنا في هذه المحاولة ولنتساءل عن المراحل التي يمر منها الإنسان أي إنسان لكي يتبن ويلتزم بفكرة معينة، أو بالضبط : كيف يتكون بناء الداعية المعرفي ليصبح داعية لا يناقض لسانه حاله ؟ وكيف يتحول من السلبية إلى الايجابية ؟

مراحل تكوين البناء المعرفي الدعوي لدى الفرد

يقرر الله تعالى في قوله { **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون** }[سورة النحل: ٧٨] سلبية الإنسان وجهله عند ولادته ، وهذا المبدأ

[1] **استعمل مصطلح الدعوة هنا بمفهوهه العام أي كل من يدعو إلى جهة أو فكرة أو إديولوجية معينة. قال تعالى" وياقومي مالي أدعوكم إلىالنجاة وتدعونني إلى النار" غافر 41 .**

[2] **تجدر الإشارة هنا إلى أن الديني و الدنيوي يشكلان وحدة لاتقبل التجزيء في التصور الإسلامي على الاطلاق.**

يعتبر كذلك نقطة التقاء آراء كثير من التربويين والأنتربولوجيين والفلاسفة وعلماء النفس[٣]

إن هذه الحالة التي يكون عليها الإنسان عند ولادته، نرى أنها تصدق على كل مبتدئٍ في مجال من المجالات حتى وإن بلغ من العمر عتياً . وتبعاً لذلك سيتم في هذه المحاولة ، النظر للإنسان المبتدئ في مجال الدعوة على أنه لا يعلم شيئاً ويجب عليه أن بذلك تعلم قواعد علم الدعوة عبر مراحل سيتم التفصيل فيها فيما بعد. وارتكازنا في ذلك ينبني علىالنقط التالية وهي للاشارة غيض من فيض.

ـ أن رسول الله خضع إلى مرحلة تكوينية إلهية دامت 40 سنة قبل بعثته وامتدت بعد ذاك حتى وفاته صلى الله عليه وسلم .

ـ أن فعل الدعوة هو فعل تربوي يحتاج إلى خلفيات في علوم عدة سيأتي الحديث عنها بعد حين.

ـ أن حياة الإنسان قبل الانتظام في حقل الدعوة (أي دعوة حتى وإن كانت ضالة) يحكمها منطق الإمعة وهو دليل على السلبية والجهل.

عموماً يبدأ الإنسان حياته فى المرحلة الأولى جاهلاً ومتقبلاً لكل شيء؛ معنى ذلك أن الفرد في هذه المرحلة يتقبل المعطيات المختلفة بل المتناقضة من الأطراف الفاعلة في المجتمع. سواء مسلمة كانت أو غير مسلمة، فتتكون لدى الفرد مجموعة أولية أو بناء أولي من الأفكار عبارة عن قطع متجاورة غير ثابتة و غير كاملة وفاقدة لكل منطق داخلي يحكمها، و تكون هي الأساس الذي يعتمده الفرد في هذه المرحلة في إعمال فكره. إلا أن هذا البناء الأولي يكون ذا مجموعة من الخصائص التي تطبع شخصية الفرد في هذه المرحلة وتصبح حسب وجهة نظرنا هي مفتاح هذه الشخصية والمدمخل الرئيسي لها؛ هذا

٣ باستثناء بعض التوجهات في علم النفس التي تعتقد بإمكانية اكتساب الإنسان لبعض "المعارف" في المرحلة الجنينية وهواحتمال يبقى خارج دائرة الحق لغياب الدليل عليه إضافة إلى أن المقصود بالمعرفة هنا كل ما يكتسبه الإنسان في تفاعله مع محيطه بكل مكوناته المختلفة والمتباينة.

زيادة على الثابث الأنتربولوجي الأساسي من أن الإنسان يتنازعه الخير والشر والثابت الديني "يولد المولود على الفطرة" { **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها** } بمعنى أن الإنسان رغم بناءه المعوج و المتناثر مرحلياً، فإن الأصل فيه الإستقامة والإختيار أي الفاعلية. **لنسم هذه المرحلة إذاً مرحلة التقبل والسلبية الكاملة** لأن الفرد يكون فيها متلقيا للدعوات المختلفة داخل المجتمع ، و لننتقل إلى المرحلة الثانية.

هذه المرحلة تأتي مباشرة[٤] بعد المرحلة الأولى وفيها يتكون لدى الفرد إحساس بأهمية موضوع ما. ولنقل بأنه تكون لدى الفرد نوع من الإحساس والإهتمام بالمواضيع الإسلامية نتيجة ما تلقاه في المرحلة الأولى من أفكارمتنوعة المصادر ومتناقضة البنيات ، أي من القطع المتجاورة. وكنتيجة لذلك تتكون لديه في هذه المرحلة الرغبة في الاستزادة من موضوع اهتمامه الناشئ، فيتجه إلى أصحاب الدعوة الإسلامية للسماع وإشباع هذه الرغبة (شرائط، محاضرات،....). ويصبح يستفسر عن ما يجهله، وتبدأ البنيات والقطع التي كانت في المرحلة الأولى متجاورة بالتمرد بعضها على بعض الآخر، لتصبح في فترات لاحقة قطعا متناثرة وأخرى مؤسسة أو مؤصلة تأكل مكان المتناثرة وتسير بالفرد إلى المرحلة اللاحقة . أي ان البناء الفكري بدأ في التشكل والتكون.

إلا أن هذه المرحلة قد تصادف لدى حاملي الدعوة الإسلامية جهلاً بها، فيستمرون في التعامل مع هذا الفرد بنفس الطريقة التي تعاملوا بها معه لما كان في مرحلة السلبية والتلقي الكامل، إذ يعتبرونه إنسانا يتقبل لا غير، فلا يعطى الوقت الكافي لطرح أسئلته و إشباع حاجته التي تزداد يوما بعد يوم، بل

٤ لايجب تحديد هذه المرحلة بفترة زمنية معينة لأن النمو البنائي الدعوي في حد ذاته هو سيرورة بنائية لا يمكن تحديد مراحلها بدقة لاختلاف المؤثرات وتنوعها من فرد إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى.

قد يتعامل معه بغلظة أو باستهتار وسخافة ملغين بذاك ذاته في الموضوع الذي هوناه . لأن الفرد في هذه المرحلة يرى ذاته من خلال الموضوعات التى يطرح ويبحث لها عن حلول آنية. وقد تكون هذه المرحلة حسب وجهة نظرنا هي مفترق الطرق لدى الفرد المدعو، فإما أنه يتجاوزها لتوفره على مكونات ذاتية إيجابية أو وعي حاملي الدعوة بالمرحلة التي هو فيها وبميوله الكبرى التي تشكل مدخلاً عاماً لشخصه، وإما أنه يختار وجهة أخرى لحياته يحقق فيها ذاته المجروحة في معترك الدعوة. **ولنسم هذه المرحلة بمرحلة التفكيروالتوجه نحو إنشاء الهوية الذاتية[٥].**

تتجلى أهمية هذه المرحلة في كونها تتطلب من الداعية تفكيراً قبل الفعل، ومعرفة بالشخص او الاشخاص الذين هم محل الدعوة، خصوصاً وأن المطلوب هنا هو اكتشاف مفتاح آخر لشخص المدعو[٦]. فقد نجد لدى الفرد المدعو ميولاً عاما للإسلام، وداخل هذا الميول نجد اهتماماً كبيراً وواضحاً بما هو سياسي أو فقهي تعبدي او فني مثلاً. وباكتشافنا لهذا المدخل الأساسي نكون قد نجحنا في فهم الشخص

٥ المقصود بالهوية الذاتية هنا هو وصول الفرد إلى مستوى الإحساس بتوازي نظرة المجتمع له ونظرته لنفسه. هذا الإحساس يمد الفرد بحرارة تتجه به إلى محاولة استثمارها في اكتساب مزيد من الاعتراف من المجتمع ومن ثم التمتع برصيد من الحرية والمشروعية في الحركة. والمجتمع هنا لا يتعدى المجموعة التي يتفاعل معها الفرد والتي له معها علاقات قوية تجعل من مواقفها اتجاهه ذات بعد تقييمي لسلوكاته. إنها تشكل شكلا من أشكال الضمير الجمعي.

٦ نتحدث هنا عن مدخل من مستوى ثان أو أعلى من المدخل الأول الذي تم اكتشافه في المرحلة الاولى ذلك أننا كنا نبحث في البداية عن مدخل عام للشخصية (الميول العام للاسلام) أما الآن فإننا نبحث عن أولى الأولويات ضمن دائرة اهتمامات الفرد المدعو.

وتوجيهه للمكان المناسب لذاته.[٧]

بعد ذلك يتحول هذا الفرد إلى مرحلة ثالثة يكون فيها (هذا إن تجاوز المرحلة الثانية بنجاح) قادراً على تمييز مايريده مما لايريده من كلام الداعية الإسلامي، بل أنه يصبح عند نفسه قادرا على تبليغ ما استفاده من الدعاة، أنه يتحول بذلك من مرحلة إيجاد الهوية إلى **مرحلة الإشعاع الخافت للهوية الذاتية،** أي أن الفرد يتحول من المرحلة السلبية وتكوين الهوية إلى مرحلة شبه إيجابية، أي أنه يبدأ بالحركة باتجاه الآخر، لنقل أنه أصبح يمارس ماكان يمارس عليه: أنه أصبح يدعو.

خصائص هذه المرحلة أن داعيتنا الجديد هذا، خرج من المرحلة السلبية إلى المرحلة الإيجابية، بالضبط إلى حالة الفعل غير المنظم[٨]، أي أن بناءه المعرفي لم يكتمل بعد، أنه يريد بلوغ جميع الأهداف مرة واحدة وبدون وعي بالأسباب والنتائج، وهي مرحلة خطيرة على الدعوة والعمل الإسلامي على العموم، إذ من هنا تأتي الأخطاء الفادحة في حقل الدعوة، بل إن خطرها قد يتجاوز الإسلاميين الى الأمة بأكملها.

إن داعيتنا الفتي هو في مرحلة إشعاع خافت إذ أنه هو نفسه يحتاج إلى متابعة وتقويم مستمرين، فهو من خلال عمله هذا، أي ممارسة الدعوة غير المنظمة يبدي استعداداً للعمل وقد يفعل هذا بإرادته أو قد

٧ للإشارة فإن رسول الله صص كان يولي الصحابة رضي الله عنهم المهام التى تتوافق وشخصية كل واحد منهم، أن فعله هذا لم يكن (حاشا لله) اعتباطيا أو مجانيا أو وليد الرغبة الذاتية، ولكن كان مبنيا على أساس أن الرسول صص كان أعرف الناس بأصحابه إضافة الىسداد فعله وقوله بالوحي"أن هو إلا وحي يوحى".

٨ نشير هنا كما أشرنا في البداية إلى أن هذه الحالة يعيشها الإنسان المنتظم في سلك الدعوة حتى ولو كان عمره المانة سنة.

يكون الدافع هو حب الظهور أمام حاملي الدعوة الإسلامية من إخوانه بالحركة والعمل أو بمظهر المخلص لدينه ولأصدقاءه خصوصاً اولئك الذين باشروا معه فعل الدعوة منذ أول الطريق. أنه غالباً ما يكون في هذه المرحلة ذا طابع انفعالي يحس بلذة في النشاط والعمل، ولا يولي اهتماماً كبيراً للأسئلة الكبرى من قبيل لماذا ومتى وكيف؟ بل لا يستبعد أن يكون ظاهره يناقض أو لايوافق سره. لأنه قد يربط العمل أو الحركة بأهداف دنيوية ذاتية أو جماعية[٩] عند عدم تحققها تنتهي فاعليته.

أما إذا ماكان داعيتنا قد مر التزامه منذ المرحلة الثانية على أسس سليمة وتجدرت المفا هيم الكبرى لديه في المرحلة الثالثة ووقع أنه خلط عملا صالحا وآخر سيئاً في هذه المرحلة كذلك، فإن ذلك يدفع به إلى المرحلة الرابعة التي نسميها **بمرحلة الإشعاع التام** والتي ينتقل فيها أخونا من حالة اللاتنظيم والانفعال إلى حالة الداعية الذي أصبح يفكر في فعله، بمعنى من حالة التبليغ غير المنظم إلى حالة التبليغ المنظم، فيها يصبح الفرد يتبنى المواقف، ويتكون لديه وعي كبير بالأهداف والوسائل والأولويات، فعله ليس انفعالي طارئ، بل إن الشعور والإحساس يتحول في هذه المرحلة الى معتقد فكري ومكون ذاتي يسحب على أعماله جميعها . إن هذا الفرد أصبح يدرك أنه بصدد دعوة مركبة، صعبة ودائمة تبغي العلم والعمل لممارسها بأقل ما يمكن من الأخطاء. إن الدعوة تتحول في النهاية عند هذا الفرد إلى قيمة موجهة للسلوك ، وهنا بالضبط تبرز بعض خصائص ذوي هذه المرحلة كاستعدادهم لمراجعة أفكارهم

٩ خصوصاً في حالة انتظامه مع جماعة أو حزب معين. فعدم وصول الجماعة لأهدافها قد يكون إعلانا بانتهاء عمل وفاعلية الفرد. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الحالة إذالم تعالج في وقتها وبحكمة وتوازن ومتابعة مستمرة ومعقلنة، فإنها تصبح الظاهرة العامة لدى الفرد في حياته الدعوية ومن ثم تصاب وأصيبت الحركات الإسلامية والأحزاب السياسية بهذا الداء. وهذا واقع ملموس لا يحتاج لأية قرينة للتدليل عليه.

ومواقفهم، ومقارنتها بأفكار وأفعال الآخرين على ضوء الشرع الحنيف والواقع. *إن الداعية في هذه المرحلة يصبح ذا إشعاع داخلي و آخر خارجي. داخلي باتجاه نفسه حين المراجعة وخارجي بالتاثير على الآخر بالقول والفعل الحسن، وتلك أقصى مراحل تطور البناء المعرفي الدعوي للفرد.*

الإنعكاسات التربوية

يؤكد تصورنا على أن البناء المعرفي الدعوي لدى الإنسان يمر عبر مراحل وهو بناء تسلسلي تصاعدي غير ثابت ويختلف من إنسان لآخر حسب مؤهلاته الذاتية وواقعه المجتمعي ومدى استيعاب الفاعلين في حقل الدعوة إلى كل هذه العوامل.

إذا ما صح تحليلنا هذا فإن أهم ما تجب مراعاته أثناء عملية إيصال المعرفة وبناء الفرد هو كالتالي:

الفروق الفردية : أنه لا يمكن بتاتا أن نجد انسانين اثنين لا يختلفان، فحتى التوأمين اللذين ينشئان في بطن واحد وبيت واحد لايمكن أن يفترض حتى مجرد الإفتراض أنهما واحد بل اثنان حتى من الناحية الإحصائية فما بالك بغيرهم، ان المؤهلات الذاتية والتجربة الاجتماعية والمحيط، كلها عوامل تزيد من شدة التنوع والاختلاف بين الناس، فإما أن تكون عوامل مساعدة أو معرقلة للتطور السليم للبناء المعرفي الدعوي للفرد. "وإنه من أمراض العمل الإسلامي على العموم هو سعيه لخلق تماثل وتطابق في الشخصيات وذلك بتضخيم مبدأ القدوة وتقليص الفردانية، من ذلك على سبيل المثال التخطيط المحكم لتحقيق وحدة التفكير إلى درجة تنظيم مطالعات الفرد وعدم السماح له بحرية الإحتكاك بمصادر الفكر المختلفة خوفاً عليه من التأثر و الانحراف"[١٠] إن هذا الشكل من العمل وغيره كثير، لا يراعي أي بعد

١٠ للتوسع في هذا الموضوع انظر : الحركة الإسلامية. رؤية مستقبلية . أوراق في النقد الذاتي لعبد الله النفيسي.

تربوي بداغوجي في التعامل مع الإنسان، ولا ينبني على أي تصور علمي للإنسان، ولايستأنس بأية معرفة علمية في علوم التربية، ولا على أي ذرة من المنطق، بل أنه يريد خلق اللا ممكن اللاشيء. فمتى كان هدف أي دين أو عقيدة صالحة، خلق نسخ كاربونية من الناس؟ إن الرسول ﷺ كون في مدرسته النبوية أبا بكر وهو من هو كشخصية مستقلة ذات مكونات تختلف عن مميزات عمر بن الخطاب الذى هو نفسه يختلف عن عثمان وعلي وأبي ذر وحمزة وغيرهم. إن الله تعالى ما قال للرسول ﷺ وحّد بينهم ولكن قال له عز وجل { **لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**}[الأنفال:63 والألفة شيء والوحدة شيء آخر[11]. الألفة هي المؤانسة والصداقة وليست الذوبان. ألف بينهم أي آنس بينهم، معنى ذلك أنهم متآنسون متحابون مع حفاظ كل واحد منهم باستقلاليته الذاتية والحق في الإعتراض والنقاش والمراجعة، أما الوحدة بينهم فكانت على صعيد البناء العقدي لا غير.

إن الذي على الداعية إذاً أن يراعيه تربوياً، هو أنه في سلك الدعوة أمام أفراد وجماعات مختلفة علىجميع الأصعدة وغرضه الأساسي هو ممارسة الدعوة للإيضاح والرشاد، وتنشئة أناس متنوعين داخل منظومة موحدة متنوعة ومنفتحة؛ وهذا معناه إتاحة الفرصة للمدعو للتعرف على الآخر المختلف كيفما كان، وعدم الخوف على المدعو من الانحراف (المرأة والرجل على السواء)[12]لأن الحقيقة

١١ هذه الفكرة ناقشتها في حوار هادئ مع الأستاذ الدكتور طه جابر العلواني في لقاء تأسيسي لإطار سيجمع إنشاء الله الباحثين في الفروع المختلفة في العلوم الإنسانية في بون ألمانيا. وهي للإشارة من طرحه هو وكنت ممن اقتنعوا بها.

١٢ أن خطاب الله كان دائماً بصيغة يا أيها الناس أو يا أيها الذين امنوا أو يا أيها الإنسان لا يا أيها الرجال ولذلك بعد تربوي كبير وهو إحساس المراة والرجل بمسؤوليتهم فوق الأرض وكل ما يحدث فيها على جميع أصعدة الحياة .

الدنيوية نسبية والحقيقة الإلهية مطلقة وهي فوق الأرض على الناس موزعة لا يملكها أحد لوحده، أي على الداعية أن يتجاوز المبدأ الفرعوني المذموم في القرآن {**ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** } [غافر : 29.]

ونشير دائماً داخل مسلمة الفروق الفردية أن الناس يختلفون كذلك في مراحل نموهم العقلي وفي اتساع دائرة المعلومات أو ضيقها، فهناك المبتدأ الذي لا زال في المرحلة الأولى من تطور بناءه الدعوي المعرفي، وهناك من هو في المرحلة الثانية أو التالثة أو الرابعة. ومن ثم فخطاب كل واحد منهم له خصوصياتة التي تجب مراعاتها.

العامل الاجتماعي : المقصود هنا هو أن الفرد يعيش ضمن منظومة من العلاقات التي قد لا يشكل الداعية فيها إلا قطرة من بحر، هذا معناه أن الفرد المدعو يقع تحت مؤثرات مختلفة ومتباينة، بل قد يكون ذا علاقات مع مجموعة من الأصدقاء وصلت درجة تعارفهم إلى "الإحساس بالإنتماء الجماعي بعضهم ببعض (الوعي الجمعي consience collective)[١٣] . إن استحضار هذا البعد أثناء ممارسة الدعوة يجعل الداعية في مأمن من التعجيل بالنتائج، ويجعله ينظر إلى المجموعة لا إلى الفرد. أي أن الفرد المدعو يصبح وسيطاً إلى أقربائه حاملاً لهم الصورة التي كونها على الدعوة والداعية. على الداعية إذا أن يجيب عن السؤال التالي: أي صورة سينقل المدعو لمجموعته ؟ (مبدأ القدوة) . زيادة على ذلك يجب أن يصبح ديدن الداعية معرفة منطق المجموعة (من خلال التفاعل مع الفرد) وقيمها الخاصة ومعاييرها الذاتية التي تحكم بها على أي فعل أو قول داخل النسق الاجتماعي، لإخراجها من الظلمات إلى النور، و يراعي في ذلك الإلتزام بالآداب الحسنة لأنه موضع مراقبة من الله ومن الناس.

١٣ ميتشل دينكن. : معجم علم الاجتماع. تحت مصطلح الضمير أو الوجدان الجمعي ص48.

إن تنوع المجتمعات أو المجموعات يعني بالنسبة للداعية تنوع الخطاب، للتوضيح سأورد مثالاً: فهل يعقل في العمل الدعوي أن نخاطب أبناء الاغنياءء بنفس خطاب أبناء الذين قدر عليهم رزقهم، وهل يعقل أن نخاطب أبناء مدينة الدار البيضاء بنفس خطاب أبناء مدينة حلب وأبناء منطقة الراين بنفس خطاب أبناء الألزاس. لاشك أن هذه المناطق تجمع بينها عناصر معينة، ولكن لكل منطقة خصوصياتها في العادات والتقاليد ومفاهيمها في الحياة التي تجب مراعتها .

إن الإنسان البداغوجي الدعوي يجب عليه إن أراد أن يؤدي واجبه أن يراعي كل هذا ولا أبالغ إن قلت أن يغيرمن لبسه ومظهره بتغيير المنطقة التي يريد الذهاب إليها، لأن للأنفس مداخل مختلفة، والهدف أسمى من ذلك كله. فلطالما لاحظت بغض أناس لدعاة فقط للبسهم العصري (ربطة العنق مثلاً...) وليعلم الداعية أن أصعب تعامل يجده مع الجاهل لا العالم أو من له نصيب من العلم، وما أكثر الصنف الأول في أيامنا هذه.

علاقة الداعية بالمدعو : هي إما علاقة إيجابية أو سلبية . سلبية إذا كان الداعية ينطلق من مسلمة أن الإنسان شر كله يجب أن يخضع للشريعة لكي تهذبه. وهذا هو النموذج السائد سواء بوعي أو بدون وعي، ذلك أن هذا التصور تنبني عليه مجموعة من الأشكال الإجرائية نراها اليوم السمة الغالبة على سلوكيات الدعاة إلا من رحم ربي، منها مثلاً تبليغ المعلومات الجاهزة والتي قد لا تكون لها صلة بالواقع أو لا يحسن إنزالها عليه، بل قد يقصد تجميدها من منطلق أنها الحق المطلق، ممارسة السلطوية والعنف في التبليغ، ومن ثم الحد من حرية المدعو وايهامه بالجهل والبلادة. إعطاء الاهمية للمعلومات والمعارف وجعلها المقياس الاول والاخير لتقيم الشخص دون النظر إلى مواطن القوة عنده، وهذا نموذج مذموم في القرآن نفسه قال عز وجل: { **فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر** }.

وإما أنها إيجابية تعترف بنسبية المعرفة الإنسانية، و يمارسها الداعية من المنطق القرآني الموجود

في كل القصص، أي منطق الحوار الحر، والإلتجاء إلى الدليل عند الإختلاف لا إلى التفسيق أو حتى التبليد والحط من كرامة المدعو. إن الدعوة تكون عملاً تفاعلياً لا تلقينياً والمركزية ليست للداعية بل للمدعو، لأنه موضع الفعل، وفي هذا اعتراف ضمني بنسبية الإجتهاد البشري، وفي نفس الوقت اعتراف بقدرة الإنسان على الوصول إلى الحق.

منطق البناء الدعوي : إذا كان البناء الدعوي للفرد ينبني حسب زعمنا عبر مراحل كل واحدة منها تشكل أساس المرحلة التالية لها فإن ذلك يعني أن هناك منطقاً يتبعه هذا البناء، ذلك أن وصول الفرد في المرحلة الثانية مثلا أي إلى تحديد موضوع الإهتمام ينتجع عنه أتوماتكيا الرغبة في الزيادة من الموضوع، فإن ذلك يعني بالنسبة للداعية وجوب إخضاع خطابه إلى منهج يبني المرحلة تلو الأخرى بناءاً منطقياً يسمح بالمرور من مرحلة لأخرى بدون صعوبة وإلا فإن النتيجة هي حصول خلل فظيع في سلم الأولويات لدى الأفراد، وعدم تمكنهم من بناء ذواتهم بناءاً يتوافق والهدف المنشود وهو هدايتهم"بإذن الله"، والوصول بهم إلى مرحلة الإشعاع أو التوازن، ذلك أن غياب المنطق يعني فقدان التوازن والسير في طريق غير واضح المعالم. إن الدعوة لا تبدأ بالتركيز على النوافل والإنفاق والجهاد ولكن بشرح معنى الحياة للناس وربطهم بأهداف كبرى تجعل للحياة معنى، وتدفع بالفرد باتجاه تحريك العقل للتفكير والوصول إلى بر الإعتقاد، ثم أداء الفرائض فالسنن وليس العكس. إن أولى الناس بالدعوة اولئك الذين لم ينحنوا لله في حياتهم ولو مرة واحدة، وليس اولئك الذين يصلون بالسدل أو بالقبض أو ما إلى ذلك من المعارك التي يخلقها عن قصد أو غير قصد إخوان لنا أصلح الله بالهم وجعل عملهم في ميزان حسناتهم.

المادة الدعوية : إن الخلل قد يتجاوز التعامل مع الفرد إلى التعامل مع المادة. المادة معرفة تعطى ولكن هي بالنسبة للداعية ليست الهدف المنشود، بل الهدف هو بناء الشخصية وإمدادها بالمادة المناسبة

في الوقت المناسب، هدف الداعية إذاً هو التربية وليس التعليم، أي تكوين مسلم فعال ممنهج وليس حامل علم شرعي لا يدري ما دوره في الحياة. في نفس الوقت لا نريد دعاة بدون رصيد شرعي، بل شخصية متوازنة تعرف ما لها وما عليها، وهذا التوازن يتطلب التعامل مع المادة في حدود أنها للاستئناس وليست الهدف، لإن تكوين حاملي العلوم الشرعية هو واجب مؤسسات أخرى وليس واجب الداعية الذي ينزل إلى الواقع لاقتلاع الناس من السلبية إلى الإجابية أي إلى الإسلام.

وبكلمة واحدة فإن الدعوة فعل تربوي بداغوجي يتطلب معرفة بالإنسان ومراحل تطوره وأماكن عيشه وعاداته وتقاليده ووضعه الاجتماعي ويتطلب الإلمام بطرق التواصل والتفاعل مع الناس وبطرق توصيل المعلومات في وقتها وعند الحاجة إليها، ويتطلب أخيرا استعدادا للصبر على طاعة الله وإيذاء الناس. وإن عملاً مثل هذا لايقوم به الجاهلون لعلوم الدين والدنيا لأنه عمل شرف الله به الأنبياء والرسل والصالحين من عباده. والله أعلم.